الفصل الثالث
البعث والنشور

المبحث الأول
التعريف بالبعث والنشور

المراد بالبعث المعاد الجسماني ، وإحياء العباد في يومي المعاد ، والنشور مرادف للبعث في المعنى ، يقال : نشر الميت نشورا إذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله أحياه . فإذا شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد ، ويقوم الناس لرب العالمين ، ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾(١) .

وقد حدثنا الحق ـ تبارك وتعالى ـ عن مشهد البعث العجيب الغريب فقال : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(٢) .

وقد جاءت الأحاديث مخبرة بأنه يسبق النفخة الثانية في الصور نزول ماء من

---

(١) سورة الزمر : ٦٨ .

(٢) سورة يس : ٥١ .

السماء ، فتنبت منه أجساد العباد ، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا .

قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ، ويصعق الناس . ثم يرسل الله ـ أو قال : ينزل الله ـ مطرا كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ ، (نعمان أحد رواة الحديث هو الشاك) فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون »[1] .

وإنبات الأجساد من التراب بعد إنزال الله ذلك الماء الذي ينبتها يماثل إنبات النبات من الأرض إذا نزل عليها الماء من السماء في الدنيا ، ولذا فإن الله قد أكثر في كتابه من ضرب المثل للبعث والنشور بإحياء الأرض بالنبات غبّ نزول الغيث ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] . وقال في موضع آخر : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[3] .

ولاحظ في كلا الموضعين قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ ، فإنهما يدلان على المماثلة والمشابهة بين إعادة الأجسام بإنباتها من التراب بعد إنزال الماء قبيل النفخ في الصور ، وبين إنبات النبات بعد نزول الماء من السماء . ونحن نعلم أن النبات يتكون من بذور صغيرة ، تكون في الأرض ساكنة

---

(١) صحيح مسلم : (٤/٢٢٥٩) ، ورقمه : ٢٩٤٠ .
(٢) سورة الأعراف : ٥٦ .
(٣) سورة فاطر : ٩ .

هامدة ، فإذا نزل عليها الماء تحركت الحياة فيها ، وضربت بجذورها في الأرض ، وبسقت بسوقها إلى السماء ، فإذا هي نبتة مكتملة خضراء .

والإنسان يتكون في اليوم الآخر من عظم صغير ، عندما يصيبه الماء ينمو نمو البقل ، هذا العظم هو عجب الذنب ، وهو عظم الصلب المستدير الذي في أصل العجز ، وأصل الذنب . ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس في الإنسان شيء إلا بَلِي ، إلا عظم واحد ، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة » .

ولمسلم طرف في عجب الذنب ، قال : « إن في الإنسان عَظْما لا تأكله الأرض أبدا ، فيه يركب يوم القيامة ، قالوا : أي عَظْم هو يارسول الله ؟ قال : عجب الذنب » .

وفي رواية له وللموطأ وأبي داود والنسائي قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ، منه خلق ، وفيه يركب »[1] .

وقد دلت النصوص الصحيحة أن أجساد الأنبياء لا يصيبها البلى والفناء الذي يصيب أجساد العباد ، ففي الحديث الذي يرويه أبو داود ، وصححه ابن خزيمة وغيره : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »[2] .

---

(١) جامع الأصول : (٤٢١/١٠) ، ورقمه : ٧٩٤١ .
(٢) انظر فتح الباري : (٤٨٨/٦) .

المبحث الثاني
البعث خلق جديد

يعيد الله العباد أنفسهم ، ولكنهم يخلقون خلقاً مختلفا شيئا ما عما كانوا عليه في الحياة الدنيا ، فمن ذلك أنهم لا يموتون مهما أصابهم البلاء ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[1] ، وفي الحديث الذي يرويه الحاكم بإسناد صحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال : قام فينا معاذ بن جبل فقال : « يابني أود، إني رسول رسول الله ﷺ تعلمون المعاد إلى الله ، ثم إلى الجنة أو النار ، وإقامة لا ظعن فيه ، وخلود لا موت ، في أجساد لا تموت » ورواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » بنحوه[2] .

ومن ذلك إبصار العباد مالم يكونوا يبصرون ، فإنهم يبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن ، ومالله به عليم ، ومن ذلك أن أهل الجنة لا يبصقون ولا يتغوطون ولا يتبولون .

وهذا لا يعني أن الذين يبعثون في يوم الدين خلق آخر غير الخلق الذي كانوا في الدنيا ، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : « النشأتان نوعان تحت جنس : يتفقان ويتماثلان ويتشابهان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر ، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ ، وجعله مثله أيضا .

فباعتبار اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله ، وهكذا كل ما أعيد ، فلفظ الإعادة يقتضي المبدأ والمعاد . . »[3] .

---

(١) سورة ابراهيم : ١٧ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤/٢٣١) ورقم الحديث : ١٦٦٨ .

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (١٧/٢٥٣) وقد أطال الشيخ رحمه الله تعالى في بيان المعنى الذي نقلناه عنه . فارجع إليه إن شئت المزيد من الإيضاح والبيان .

المبحث الثالث

أول من تنشق عنه الأرض

أول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع . . وأول مشفع »[1] .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « استب رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفى محمد على العالمين ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم عند ذلك يده ، فلطم اليهودي ، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم ، فقال : لا تُخَيِّروني على موسى ، فإنَّ الناس يصعقون ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق ، أو كان ممن استثنى الله عز وجل » .

وفي رواية لهما « . . . فإنه ينفخ في الصور ، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يبعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري : أحوسب بصعقة الطور ، أم بعث قبلي ؟ »[2] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ (٤/١٧٨٢) ورقمه : ٢٢٧٨ .
(٢) جامع الأصول : (٨/٥١٣) ، ورقمه (٦٣٠٨) .

المبحث الرابع
حشر الخلائق جميعاً إلى الموقف العظيم

سمى الله يوم الدين بيوم الجمع ، لأن الله يجمع العباد فيه جميعا ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾(١) ، ويستوي في هذا الجمع الأولون والآخرون،﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾(٢).

وقدرة الله تحيط بالعباد ، فالله لا يعجزه شيء ، وحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم ، إن هلكوا في أجواز الفضاء ، أو غاروا في أعماق الأرض ، وإن أكلتهم الطيور الجارحة أوالحيوانات المفترسة ، أو أسماك البحار ، أو غيبوا في قبورهم في الأرض ، كل ذلك عند الله سواء ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) .

وكما أن قدرة الله محيطة بعباده تأتي بهم حيثما كانوا ، فكذلك علمه محيط بهم ، فلا ينسى منهم أحد ، ولا يضلُّ منهم أحد ، ولا يشذُّ منهم أحد ، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى ، وعدَّهم عدّا ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾(٤) ، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾(٥) .

---

(١) سورة هود : ١٠٣ .

(٢) سورة الواقعة : ٥٠ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٨ .

(٤) سورة مريم : ٩٣ - ٩٥ .

(٥) سورة الكهف : ٤٨ .

وهذه النصوص بعمومها تدل على حشر الخلق جميعا الإنس والجن والملائكة ، ولا حرج على من فقه منها أن الحشر يتناول البهائم أيضا .

وقد اختلف أهل العلم في حشر البهائم ، فذهب ابن تيمية رحمه الله ـ إلى أن ذلك كائن .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه ، كما دلَّ عليه الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾(٣) ، وحرف « إذا » إنما يكون لما يأتي لا محالة(٤) .

وحكى القرطبي خلاف أهل العلم في حشر البهائم ورجح أن ذلك كائن للأخبار الصحيحة في ذلك ، قال القرطبي : « واختلف الناس في حشر البهائم ، وفي قصاص بعضها من بعض ، فروي عن ابن عباس أن حشر البهائم موتها ، وقاله الضحاك . وروي عن ابن عباس في رواية أخرى أن البهائم تحشر وتبعث ، وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص ، والحسن البصري وغيرهم ، وهو

---

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .
(٢) سورة التكوير : ٥ .
(٣) سورة الشورى : ٢٩ .
(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام : (٤/٢٤٨) .

الصحيح ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ، وقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[1] .

قال أبو هريرة : يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة : البهائم ، والطير ، والدواب ، وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كوني ترابا ، فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾[2] ونحوه »[3] .

---

(١) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٢) سورة النبأ : ٤٠ .

(٣) تذكرة القرطبي : ٢٧٣ .

المبحث الخامس
صفة حشر العباد

يحشر العباد حفاة عراة غرلا أي غير مختونين ، ففي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ : قال : « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا » ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1][2] .

وعندما سمعت عائشة الرسول ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قالت : يا رسول الله ، الرجال والنساء جميعا ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض »متفق عليه[3] .

وقد جاء في بعض النصوص أن كل إنسان يبعث في ثيابه التي مات فيها ، فقد روى أبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد ، فلبسها ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها » وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وقال الشيخ ناصر الدين فيه : وهوكما قالا[4] .

وقد وفّق البيهقي بين هذا الحديث وسابقه بثلاثة أوجه :

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٤ .

(٢) مشكاة المصابيح : (٣/٧٥) ، ورقم الحديث : ٥٥٣٥ .

(٣) مشكاة المصابيح : (٣/٥٧) ، ورقم الحديث : ٥٥٣٦ .

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٤/٢٣٤) ، ورقم الحديث : ١٦٧١ .

الأول : أنها تبلى بعد قيامهم من قبورهم ، فإذا وافَوْا الموقف يكونون عراة ، ثم يلبسون من ثياب الجنة .

الثاني : أنه إذا كسي الأنبياء ثم الصديقون ، ثم من بعدهم على مراتبهم فتكون كسوة كل إنسان من جنس ما يموت فيه ، ثم إذا دخلوا الجنة لبسوا من ثياب الجنة .

الثالث : أن المراد بالثياب هاهنا الأعمال ، أي يبعث في أعماله التي مات فيها من خير أو شر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[2] .

واستشهد البيهقي على هذا الجواب الأخير بحديث الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يبعث كل عبد على ما مات عليه »[3] .

وحديث جابر هذا رواه مسلم في صحيحه[4] ، ولا يفقه منه أن العبد يبعث في ثيابه التي كُفِّنَ فيها أو مات فيها ، وإنما يبعث على الحال التي مات عليها من الإيمان والكفر ، واليقين والشك ، كما يبعث على العمل الذي كان يعمله عند موته يدلُّ على هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أراد الله بقوم عذابا ، أصاب العذاب من كان فيهم ، ثم بعثوا على أعمالهم »[5] .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٦ .

(٢) سورة المدثر : ٤ .

(٣) النهاية لابن كثير : (١/٢٨٨) .

(٤) رواه مسلم : (٤/٢٢٠٦) . وقم الحديث : ٢٨٧٨ .

(٥) صحيح مسلم (٢/٢٢٠٦) ورقم الحديث : ٢٨٧٩ .

فالذي يموت وهو محرم يبعث يوم القيامة ملبيا ، ففي صحيح البخاري ومسلم ومسند أحمد عن عبدالله بن عباس قال : إن رجلا كان مع النبي ﷺ فوقصته[1] ناقته وهو محرم فمات ، فقال رسول الله ﷺ : « اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبيه ، ولاتُمِسُّوه بطيب ، ولا تخمروا رأسه[2] ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا »[3] .

والشهيد يبعث يوم القيامةوجرحه يثعب اللون لون الدم والريح ريح المسك .

ومن هنا استحب تلقين الميت لا إله إلاّ الله ، لعله يموت على التوحيد ، ثم يبعث يوم القيامةناطقا بهذه الكلمة الطيبة .

---

(١) أي أسقطته فكسرت عنقه .

(٢) أي لا تغطّوا رأسه .

(٣) مشكاة المصابيح : (١/ ٥٢٠) ، ورقم الحديث : ١٦٣٧ .

obeikandl.com

المبحث السادس
كسوة العباد في يوم المعاد

ذكرنا فيما سبق أن الله يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا ، كما صحت بذلك الأحاديث ، ثم يكسى العباد ، فالصالحون يكسون الثياب الكريمة ، والطالحون يسربلون بسرابيل القطران ، ودروع الجرب ، ونحوها من الملابس المنكرة الفظيعة .

وأول من يكسى من عباد الله نبيّ الله إبراهيم خليل الرحمن ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل »[1] .

قال ابن حجر : « وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد : « وأول من يكسى من الجنة إبراهيم ، يكسى حلة من الجنة ، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر »[2] .

وذكر العلماء أن تقديم إبراهيم على غيره بالكسوة في يوم القيامة ، لأنه لم يكن في الأولين والآخرين أخوف لله منه ، فتعجل له الكسوة أمانا له ليطمئن قلبه ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، فتح الباري : (١١/٣٧٧) ، ورواه أيضا في كتاب الأنبياء ، انظر فتح الباري : (٦/٣٨٧) .

(٢) فتح الباري : (١١/٣٨٤) .

ويحتمل لأنه ـ كما جاء في الحديث ـ أول من لبس السراويل إذا صلى مبالغة في التستر وحفظا لفرجه من أن يماسَّ مصلاه ، ففعل ما أمر به ، فجزى بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون الذين ألقوه في النار جردوه ونزعوا ثيابه على أعين الناس ، كمن يفعل بمن يراد قتله ، فجزي بكسوته في يوم القيامة أول الناس على رؤوس الأشهاد ، وهذا أحسنها »[1] .

---

(١) تذكرة القرطبي : ٢٠٩ .

obeikandl.com